

# اتفاقية المدن الأربعة حاجة شعبية أم تكتيك سياسي برعاية دولية وغطاء أممي؟

مركز إدراك للدراسات والاستشارات

أيار/ ماي 2017

**IRAK**

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

3	المقدمة:
5	اتفاق المدن الأربع
9	تفجير الراشدين
11	واقع الأهالي بعد التهجير
18	رسالة الزيداني للمعارضة
19	المدن الـ 4 ورقة ضغط وميدان اشتباك

**المقدمة:**

تقع قرية "الفعوة" في محافظة إدلب ناحية بنش والتي يبلغ عدد سكانها 10,264 نسمة حسب إحصاء المكتب المركزي للإحصاء لعام 2004.

يعتبر أصل سكان القرية من مدينة حلب والتي كانت حينذاك تكوّن حاضرة إسلامية وأحد أهم المراكز الاستراتيجية للدولة الحمدانية، وهي القرية الوحيدة التي يفتي فقهاءها على مذهب الإمامية بعد أن ظهر فيها علماء شيعة وأسسوا -حوزات - كبيرة لممارسة طقوس عبادتهم ويذكر البعض أنّ عدداً لا بأس فيه من سكان الفعوة هاجر إلى لبنان هرباً من السلاطين والحكام إثر خلافات سياسية وأيديولوجية نشأت بينهم في تلك الحقبة.

ومن المناطق المعروفة بـاعتناقها المذهب الشيعي نجد قرية "كفريا" السورية والتي تبعد عن محافظة إدلب بثمان كيلومترات، تجاورها قرية معرة مصرين بالشمال الغربي والفعوة من الشرق ورام حمدان من الشمال، ويذكر أنّ أهلها أهملوا الزراعة جراء انشغالهم بالأعمال الخاصة والوظائف الحكومية، إلا أنّ أغلب الإنتاج الزراعي للفعوة يتركز على محاصيل الحبوب والشعير والقمح والزيتون.

من جهة أخرى نجد مدينة الزبداني والتي تشكل أهم المدن السورية لموقعها الإستراتيجي والتقاءها مع الحدود اللبنانية، حيث تعتبر أحد أرق المصايف العربية، وتقع على مسافة 45 كم شمال غرب دمشق، وتمتد المدينة على سفوح جبال لبنان وتشرف على سهل الزبداني.

ويرتبط تاريخ الزبداني بتاريخ أقدم عاصمة مأهولة في العالم دمشق، وتقع على يمين الطريق الدولي الرابط بين دمشق وبيروت، وترتفع عن سطح البحر ما بين 1150 و 1250 م ويحيط المدينة مدن والقرى منها مضايا وبلودان وسرغايا وبقين، وينبع من جنوبها نهر بردى، وتكثر فيها الينابيع الأخرى كنبع العرق والكبرى والجرجانية، ويتنوع في الزبداني الفاكهة والثمار من تفاح وإجاص ودراق وعنب وتين وغير ذلك.

ارتباط المدينة بأهم الطرق الإستراتيجية والعسكرية للحروب والفتوحات جعلها أهم مدينة تجارية للقوافل المتنقلة بين دمشق/ سوريا وبلعبك/لبنان.

ويعود أصل سكان هذه المدينة إلى الأراميين وهم من نسل سام بن نوح، الذين ينتسبون لجدهم آرام من سام، وهم الذين أسسوا مدينة دمشق منذ آلاف السنين وسموها باسم جدهم سام "شام"، ويذكر أنّ أهل الزبداني ومضايا من أصحاب الطبقات الأرستقراطية وهم من أهالي دمشق الأصليين المعتنقين للديانة الإسلامية "المذهب السني"، وبلغ عدد سكان الزبداني عام 2006 نحو 29,930 نسمة، بينما يرتفع عدد قاطنيها في الشتاء لـ 60 ألف نسمة، وفي الصيف 100 ألف نسمة.

تعتبر الزبداني مشاركة بشكل فاعل في الحراك الشعبي الذي اجتاحت سوريا بداية عام 2011، وحينها تعرضت المدينة لهجمات متكررة من قبل قوات أمن النظام السوري، وفي 17 يوليو عام 2011 تعرضت المدينة للاقتحام الأول، حيث اجتاحتها دبابات ومدركات قوات الجيش النظامي والتي ضمت ما يزيد عن 2000 جندي، ثم في 15

أكتوبر من ذات العام تعرضت المدينة لاقتحام مشابه، حيث اجتاحتها آلاف الجنود وسط إطلاق نار كثيف وحملة واسعة من الاعتقالات العشوائية لأهالي المدينة.

وفي النهاية اندلعت معركة عنيفة بين الجيش النظام والجيش السوري الحر المنشق عن الأول والذي يحتوي العديد من أبناء المدينة نفسها، انتهت هذه المعركة بسيطرة الجيش الحر وأبناء الزيداني على مدينتهم وإخراج قوات النظام منها.

وتعدّ بلدة مضايا ناحية سورية إدارية تابعة لمنطقة الزيداني، ويعتق أفرادها الديانة الإسلامية (المذهب السني)، وتقع شمال غرب دمشق في سلسلة جبال لبنان الشرقية، وتعدّ مصيفاً هاماً في سوريا ولا يقل في أهميته عن مدينة الزيداني التي تتبع له إدارياً. وبلغ عدد سكان مضايا 16.780 نسمة حسب التعداد الاحصائي عام 2015<sup>(1)</sup>، وتعتبر بلدة مضايا أولى المدن السورية التي نادت بإسقاط النظام السوري علانية، ما دفع الجيش النظامي للتدخل فوراً وقصف المدينة وشن حملة واسعة من الاعتقالات بحق سكانها كنوع من أنواع العقاب.

<sup>1</sup>- بتصرف <https://ar.wikipedia.org> ، تاريخ الولوج 2017/4/21.

## اتفاق المدن الأربع

في أواخر الشهر الثاني عشر من عام 2015 ظهرت فيما يبدو نوايا نظام الأسد وحلفاؤه الروس والإيرانيون باستبدال أهالي الزبداني ومضايا "مسلمين وغير مسلمين" بأهالي الفوعة وكفريا اللتين شكّلتا طيلة الفترة الماضية قاعدة عسكرية للنظام وإيران المتخذة من أهالي الفوعة وكفريا دعماً بشرياً لهم، ومن البعض الآخر مرتزقة يقاتلون بغية العائد المالي، والبعض ممن يقاتل منهم بغية الدفاع عن وجوده المرتبط بوجود نظام الأسد حسبما سوّق لهم النظام".

وبداً في 28 ديسمبر/كانون الأول 2015 تنفيذ الاتفاق الذي تم بموجبه عملية ما وصف بعملية التغيير الديمغرافي وتهجير أهالي الزبداني ومضايا في دمشق وكفريا والفوعة في ريف إدلب، حيث أخرج نظام الأسد العديد من عوائل الزبداني ومضايا لبيروت للاتجاه إلى الشمال السوري عبر تركيا، بالمقابل اتجه العديد من عوائل كفريا والفوعا إلى لبنان عبر المطار التركي، وأظهرت لقطات تلفزيونية عبور القافلة التي غادرت الزبداني، إلى داخل الحدود اللبنانية لتصل بعدها إلى مطار بيروت قبل الذهاب إلى تركيا بحسب الاتفاق.<sup>(2)</sup>

وفي الرابع أبريل/نيسان 2017 وفق تصريح عماد الدين مجاهد مدير العلاقات الإعلامية في هيئة تحرير الشام أحد أهم الفصائل المشرفة على توقيع الاتفاق أكد أنّ الاتفاق يتضمن 7 بنود هي:<sup>(3)</sup>

أولاً: إخراج قرابة 3000 شخص من مضايا والزبداني وبلودان إلى الشمال (الراغبين فقط)

ثانياً: إخراج كامل كفريا والفوعا على دفعتين

ثالثاً: إخراج 1500 أسير من سجون النظام معظمهم من النساء.

رابعاً: إدخال مساعدات بالإضافة إلى هدنة في مناطق جنوب دمشق وأولها مخيم اليرموك المحاصر.

خامساً: بعد مدة شهرين يتم إخراج المحاصرين في مخيم اليرموك إلى الشمال.

سادساً: حل قضية 50 عائلة عالقة في لبنان من أهالي الزبداني ومضايا.

سابعاً: هدنة في إدلب، تفتناز وبنش ورام حمدان وشلخ بروما لمدة 9 أشهر تشمل جميع أنواع القصف المدفعي والجوي.

وجدير بالذكر أنّ الاتفاق في 2015 كان ينص على التزام الطرفين بوقف كامل للعمليات العسكرية وإطلاق النار من داخل مناطق "الهدنة" إلى خارجها، ومن خارجها إليها، بما في ذلك وقف الطيران الحربي والمروحي، إلى

<sup>2</sup> - بتصرف <https://arabic.rt.com> ، تاريخ الولوج 2017/4/22.

<sup>3</sup> - بتصرف [http://orient-news.net/ar/news\\_show](http://orient-news.net/ar/news_show) ، تاريخ الولوج 2017/4/22.

جانب وقف إلقاء المساعدات من الطيران المروحي، والتعهد بعدم إغلاق الطريق الإنساني إلى الفوعة وكفريا، أو إغلاق منافذ مضايا وبقين وسرغايا.

كما تنص بنود الاتفاق على أن الواجهة الوحيدة لخروج ثوار مدينة الزبداني مع الجرحى هي إدلب حصراً، وبالسلح الفردي الخفيف مع الجعب وحقيبه كتف واحدة "لا تحتوي سلاح وذخائر"، فيما يتم تدمير السلاح الثقيل في منطقة الزبداني. في حين لا يشمل هذا الاتفاق خروج ثوار مضايا، ولكن يسمح بإخراج الجرحى ذوي الحالات الصعبة الذين لا يمكن علاجهم داخل مضايا ويحدد ذلك من خلال الهلال الأحمر تحت إشراف الأمم المتحدة.

كما أشارت الاتفاقية على أن تعمل إيران مع الحكومة اللبنانية على إخراج عائلات الزبداني التي خرجت بطريقة غير قانونية إلى لبنان والعمل على إعادتهم إما إلى سوريا مباشرة، أو إلى تركيا شرط أن يكون العدد بين أربعون وخمسون عائلة فقط، وأن يتم ذلك خلال المرحلة الأولى.

وأيضاً نصت الاتفاقية منذ بداياتها الأولى على خروج 10 آلاف شخص من الفوعة وكفريا، في المقابل يتم خروج الراغبين من النساء والأطفال دون الثامنة عشر والرجال فوق الخمسين من "الفوعة وكفريا" بحيث لا يزيد العدد عن عشرة آلاف شخص، إلى جانب خروج كامل الجرحى قيد العلاج في القرينتين، على أن يضمن كل طرف الأمن والسلامة خلال سير العمل داخل مناطق سيطرته.

وكان الاتفاق ينص في 2015 أيضاً على إطلاق سراح 500 معتقل من سجون نظام الأسد بعد إنجاز المرحلة الأولى، وتفصيل هذا العدد هو 325 امرأة و25 حدث 150 رجل دون الالتزام بأسماء محددة أو مناطق معينة، على أن تكون تواريخ اعتقالهم سابقة لتاريخ السابع تموز/يوليو 2015.

شدد الاتفاق على تشكيل مجموعة عمل تشمل مندوب من الأمم المتحدة مندوب من إيران ومندوب من طرف الثوار، حيث تعتبر هذه المجموعة مرجعية لمتابعة تنفيذ الاتفاق. وكانت إيران مصرّة حينذاك على مطلبها الطائفي القاضي بإخراج كافة عوائل الزبداني ومضايا ولكنها تراجعت عن ذلك حسب التصريحات الرسمية، ولكنها في الحقيقة وبشكل أدق حسب المتغيرات الواقعية غيّرت تكتيكها في إجراءات التهجير.

وكان قد شدد عامر برهان مدير المشفى الميداني في مدينة الزبداني في التاسع من أيلول/ سبتمبر 2015 أن الاتفاق لم يتضمن خروج عائلات أهالي مدينة الزبداني ومضايا، وهو المطلب "الإيراني" الذي أدى إلى إنهاء المفاوضات في الهدن السابقة، مؤكداً في الوقت نفسه أن الاتفاق ينص على خروج الثوار إلى مدينة إدلب. ولفت إلى أن الاتفاق يشمل وقف عمليات القصف على بلدة مضايا المجاورة، ورفع الحصار عنها، مع التأكيد على عدم خروج الثوار من البلدة. ورجح برهان أن يكون هذا الاتفاق شامل ونهائي لقضية الزبداني، كونه سيكون تحت إشراف أجهزة ومؤسسات الأمم المتحدة.<sup>(4)</sup>

<sup>4</sup> - بتصرف <http://www.orient-news.net>، تاريخ الولوج 2017/4/22.

إدراك للدراسات والاستشارات

**كيف تم تنفيذ الاتفاقية**

في إطار اتفاقية المدن الأربعة المنعقدة بين جيش الفتح وإيران وبرعاية أممية وبحضور نظام الأسد الغائب الحاضر، تم إخراج نصف سكان مدينتي كفرية والفوعة شمال إدلب كمرحلة أولى تبعاً لرغبة نظام الأسد وحلفائه ورغبة بما يسمى بالدول الصديقة الداعمة للسوريين والفصائل المقاتلة، وبلغ عدد الذين تم إخراجهم 8 آلاف نسمة بينهم 2000 عسكري يحملون أسلحتهم الخفيفة، وتم إخراجهم على دفعتين، فقد بلغت الدفعة الأولى 5000 والثانية 3000 بالمقابل قام نظام الأسد مدعوماً من ميليشيا حزب الله والمليشيات الإيرانية بإخراج ما يقارب 4300 نسمة من أهالي مدينتي مضايا والزبداني وبقين وبلودان وسرغايا والجبل الشرقي، ومن بينهم ما يقارب 1000 مقاتل بسلاحهم الخفيف، إلى محافظة إدلب بالشمال السوري، بينما أطلق النظام سراح 120 معتقلاً لديه بينهم نساء وجيلهم تم اعتقالهم من فترة قصيرة لا تتجاوز الشهر، متجاهلاً إخراج أبناء الثورة والحراك الشعبي الحقيقي.

إنّ مراوغة نظام الأسد في تنفيذ الاتفاق وإصراره على عدم إخراج المعتقلين من الثوار والاكتفاء بالإفراج عن معتقلين لا علاقة لهم بالثورة والحراك الشعبي، سيعرقل تنفيذ المرحلة الثانية من اتفاق المدن الأربعة أو الخمسة كما يشير البعض بالبلدة الخامسة بلودان المحاذية للزبداني، حيث كان من المفترض البدء بالمرحلة الثانية بأواخر الشهر السادس أي بعد 60 يوماً من تنفيذ المرحلة الأولى، والتي كان من المفترض أن يتم فيها السماح لأهالي ومسلحي الفوعا وكفريا بالخروج مقابل الإفراج عن المعتقلين وإدخال المساعدات الإنسانية لعدد من المدن السورية، إلا أنّ مراوغة النظام في الإفراج عن الأسرى الثوريين، خلق حالة استياء شعبي كبيرة في الشمال السوري، ما دفع جيش الفتح للتلويح بأنه سيحدد أسماء يعينها ويطلب من الطرف الآخر الإفراج عنها مقابل إخراج ما تبقى من سكان الفوعة "المسلحين وغير المسلحين" والتي يريد النظام إفراغها ونقل سكانها إلى دمشق وما حولها لتعزيز القوة الأيديولوجية لحزب الله وإيران على الحدود اللبنانية، وحيث يبلغ عدد الباقين في الفوعة وكفريا 8000 آلاف شخص بينهم 2000 مسلح أي ما يساوي العدد الذي خرج في المرحلة الأولى من الاتفاق.<sup>(5)</sup>

بذات السياق أكدت مصادر متطابقة أنّ 65 حافلة نقلت في 15 أبريل/نيسان 2017 نحو 3150 شخصاً، بينهم 400 مقاتل من أهالي مضايا، تم نقل معظمهم للشمال السوري في إدلب. بذات الوقت تم وصول نحو 5 آلاف شخص من بلدي الفوعة وكفريا في ريف إدلب إلى منطقة الراشدين في حلب وتمّ نقلهم لاحقاً لمناطق الزبداني ومضايا وبلودان، بينهم 1300 من عناصر المليشيات المقاتلة لجانب النظام السوري.<sup>(6)</sup>

في حين أكدت مصادر أخرى أن العدد هو 2325 شخصاً بينهم مقاتلون وصلوا ضمن هذا التبادل إلى مدينة إدلب، في حين خرج من كفريا والفوعة نحو خمسة آلاف شخص بينهم مسلحون من المليشيات المقاتلة لجانب النظام السوري. وبموجب اتفاق إخلاء البلدات السورية الأربع، سيتم الإفراج عن 1500 من المعتقلين في سجون

<sup>5</sup> - مقابلة شخصية، شاهد عيان مطلع في إدلب، الساعة 6 مساءً، في 2017/4/22.

<sup>6</sup> - بتصرف [http://orient-news.net/ar/news\\_show](http://orient-news.net/ar/news_show) ، تاريخ الولوج 2017/4/22.

النظام السوري، حيث يُفرج عن 500 معتقل ضمن المرحلة الأولى من الاتفاق وعن الباقين في مراحل لاحقة. كما جرى تبادل أسرى وجثث قتلى بين الفصائل "ومنها هيئة تحرير الشام" وقوات النظام المتمركزة إلى جانب الميليشيات في الفوعة وكفريا.<sup>(7)</sup>

وتم التأكيد على أنّ الزبداني في 2017/4/23 أصبحت مفرّغة تماماً من أهلها ودخلتها ميليشيا حزب الله وقوات النظام وشبيحته وقوى طائفية أخرى مطلقين عليها مدينة (النور) في إشارة للرموز الطائفية عند الميليشيات الشيعية التي دخلت المدنية برفقة قوات النظام السوري. وتم الإشارة إلى أن الزبداني لم يكن فيها إلا ما يقارب 160 مسلحاً و30 آخرين في الجبل الشرقي المحاذي لها، ما يعني أنّ عدد المسلحين المهجرين من الزبداني وما حولها لا يساوي إلا نسبة ضئيلة جداً من العدد الكلي الذي أجبرته قوات الأسد على الخروج من المدينة. بعد تخييره بين السجن والتحول لمرتزق في صفوفها وبين الخروج للشمال السوري.

وتم التنويه على أنّ نظام الأسد رفض قبول مصالحة 200 من أهالي وادي بردى وإجبارهم على الهجرة للشمال السوري، ما سبب حالة استياء كبيرة لدى المهاجرين الآخرين مهتمين هذه الفئة بالعمالة إلى النظام السوري وأنها مشاريع خلايا نائمة أراد النظام السوري من خلالها خلق حالة من الاستنزاف الداخلي في الشمال السوري.<sup>(8)</sup>

### تفجير الراشدين

في الرابع أبريل/نيسان 2017 وبعد الشروع في تنفيذ الاتفاق انفجرت سيارة مفخخة حسب مصادر متطابقة بفصائل الجيش الحر وأهالي الفوعة وكفريا، حيث أفاد الدفاع المدني في حلب بمقتل مائة وإصابة أكثر من 555 في تفجير منطقة الراشدين بحلب الذي استهدف الجيش الحر والحافلات المخصصة لنقل الخارجين من بلدي كفريا والفوعة في الشمال السوري. حيث ذكر التلفزيون السوري الرسمي أن "انتحارياً" فجر سيارته قرب محطة وقود بحي الراشدين مستهدفاً سيارات تحمل أغذية لأهالي كفريا والفوعة، متهماً من وصفهم بـ"الإرهابيين" بتفجير سيارة ملغمة بهدف عرقلة إتمام تنفيذ اتفاق المدن الأربع. فيما رجحت مصادر مطلعة انفجار إحدى السيارات المحملة بالمواد الغذائية بعد عبورها من مناطق سيطرة النظام، خاصة وأن عدداً كبيراً من مقاتلي الجيش السوري الحر راحوا ضحية التفجير، حيث بلغ العدد ما يقارب 30 مقاتلاً. وقالت المصادر إن هذه السيارات لم تخضع للتفتيش لأنها تحمل مساعدات غذائية من نظام الأسد إلى الموالين له من أهالي ومسلحي بلدي كفريا والفوعة. من جانبه بثت بعض الوسائل الإعلامية شهادة أحد أهالي كفريا والفوعة الناجين من التفجير، يقول فيها إن سيارة كانت توزع شرائح البطاطا (شيبس) لحق بها الأطفال ثم انفجرت.<sup>(9)</sup>

وأفادت مصادر مطلعة احتمالية تلغيم نظام الأسد لأحد الحافلات التي كانت تقل أهالي ومسلحي الفوعا وكفريا،

<sup>7</sup> - بتصرف، <http://www.aljazeera.net>، تاريخ الولوج 2017/4/22.

<sup>8</sup> - مقابلة شخصية، أحد المقربين من قيادات حركة أحرار الشام، الساعة 12 مساءً، في 2017/4/24.

<sup>9</sup> - بتصرف، <http://www.aljazeera.net>، تاريخ الولوج 2017/4/22.

مستشهداً أنّ أثناء حدوث الانفجار، طارت أشلاء الناس من داخل الحافلة إلى خارجها وليس العكس، ما يعني احتمالية وضع المفخخة داخل الحافلة الآتية من جانب نظام الأسد.<sup>(10)</sup>

إدراك للدراسات والاستشارات

---

<sup>10</sup> - مقابلة شخصية، شاهد عيان، الساعة 2 ظهراً، في 23/4/2017.

**واقع الأهالي بعد التهجير**

يختلف واقع المهجرين من الفوعة وكفريا عن واقع المهجرين من الزبداني ومضايا والبلدات المحيطة بهم، وبإلقاء ومضة سريعة على حال الطرفين يتبين لنا المهجر الحقيقي والمواد التنكيل فيه عقوبة له على موقفه ضد النظام الحاكم في سوريا. فقد أكد أنّ غالبية المهجرين من ريف دمشق، لولا سياسة التجويع التي اختارتها ميليشيات حزب الله ضدهم ولولا الاعتقال والتنكيل والحصار والجوع الذي تعرضوا لهم وأطفالهم لما خرجوا إلى الشمال السوري وتركوا أملاكهم وبيوتهم وأراضهم.

فلم يلقى أهالي الزبداني المهجرين للشمال السوري أي خدمات إنسانية تنتظرهم، بل وألقوا في المخيمات والعراء دون أي التفات يذكر من قبل منظمات المجتمع المدني والأمم المتحدة أحد رعاة عملية تهجيرهم من بيوتهم ومدنهم، حيث يعاني المهجرون الذين توجهوا إلى الشمال السوري لحالة مزرية وسيئة للغاية، وأغلبهم يتواجد في مراكز إيواء جماعية لعدم توفر المنازل أو رسوم لدفع الإيجارات بعكس أهالي الفوعة وكفريا الذين وفر لهم النظام ملاذاً آمناً ليضعها في أفضل المناطق الدمشقية وما حولها. فما زال أطفال أهالي الزبداني محرومون من التعليم والحصول على أدنى مقومات الحياة ما يهدد بدوره وجودهم الحضاري في المستقبل ووجودهم الآتي كإنسان يحق له أن يعيش.<sup>(11)</sup>

بالمقابل تم تلبية احتياجات أهالي الفوعة وكفريا حيث التقى المهندس وزير الإدارة المحلية والبيئة لدى نظام الأسد حسين مخلوف ومحافظ حمص طلال البرازي الأهالي والمسلحين الخارجين من بلدي كفريا والفوعة في 21 أبريل/نيسان 2017. ودعا مخلوف خلال جولته في المركز الجهات المعنية إلى العمل على ضمان التحاق جميع التلاميذ والطلبة بالمدرسة المتواجدة في مركز حسياء وتنفيذ الدروس الداعمة ولا سيما لطلاب شهادة التعليم الأساسي وعودة الجامعيين إلى الجامعات والموظفين والعمال إلى مواقع العمل المماثل في محافظة حمص إضافة إلى تأمين فرص عمل لعدد للقادرين على العمل. وأشار مخلوف إلى أنه تم توزيع الأسر المهجرة على الوحدات السكنية وتقديم السبل الغذائية والصحية والمفروشات والحليب والطبابة للأهالي في حين يتم إحصاء الطلبة لاستئناف العمليتين التربوية والتعليمية. وأكد مخلوف أن جميع الاستعدادات يتم اتخاذها قبل وصول سكان الفوعة وكفريا من مدنيين ومسلحين إلى مراكز الإقامة المؤقتة. وأوضح منسق إدارة الكوارث في فرع الهلال الأحمر العربي السوري بحمص طارق الأشرف أنه تم استقبال العائلات الواصلة إلى مركز الإقامة المؤقتة في حسياء وتوزيعهم على المساكن وتقديم السبل الغذائية والصحية ومستلزمات المطبخ والفرش وحليب الأطفال مشيراً إلى أنه يتم إجراء الصيانة الدورية للبنى التحتية في المساكن المؤقتة وتأمين إجراء الإسعافات الطبية والصحية عند اللزوم في مقر المركز من خلال فريق طبي شكل لهذا الغرض.<sup>(12)</sup>

إلا أنه وحسب مصادر متطابقة تتخوف العديد من منظمات المجتمع المدني من استغلال نظام الأسد

<sup>11</sup> - مقابلة شخصية، أحد المسؤولين عن تجهيز المخيمات للمهجرين من الزبداني وما حولها، الساعة 6 مساءً، في 22/4/2017.

<sup>12</sup> - بتصرف، <http://sananews.sy/?p=15361>، تاريخ الولوج 22/4/2017.

والمليشيات الإيرانية الداعمة له لحاجة شباب الفوعة وكفريا وتجنيدهم ضمن صفوف مرتزقة حزب الله وإيران بناء على إيديولوجياتهم الدينية وحاجاتهم المادية.

إدراك للدراسات والاستشارات

**الموقف الأممي والدولي**

كما نظام بشار الأسد والدول الغربية والإقليمية الراعية للاتفاق ما يبدو أنّ الأمم المتحدة أثرت هي أيضا أن تستخدم الفصائل كقفازات وتلعب دور القيادة من الخلف والذي أسمته بشكل رسمي بدور "المراقب" حسب مصادر رسمية ومتطابقة.

فأعلنت الأمم المتحدة في الثالث آذار/مارس 2017 أنها "تراقب عن كثب" الاتفاق الذي تم التوصل إليه بشأن اتفاق المدن الأربعة، والذي تم ظاهرياً بين غرفة عمليات جيش الفتح وإيران لإجلاء أهالي ومسلحي الزبداني وبلدة مضايا بريف دمشق وأهالي ومسلحي بلدتي كفريا والفوعة بريف إدلب.

وقال نائب المتحدث الرسمي باسم الأمين العام للأمم المتحدة، فرحان حق، "تلقينا تقارير أفادت بعقد اتفاق بين أطراف النزاع في سوريا لإجلاء المدنيين من بلدات مضايا والزبداني بريف دمشق (تحاصرها قوات النظام وحزب الله) والفوعة وكفريا بريف إدلب (تحاصرها فصائل معارضة)، دون أن تكون الأمم المتحدة طرفاً في المفاوضات أو الاتفاق". وقال: "نحن نراقب التطورات عن كثب ونظل قلقين بشأن سلامة وحماية ما يقدر بـ 60 ألف شخص من المحتاجين في البلدات الأربع المحاصرة". وأضاف "إجلاء المدنيين يجب أن يكون آمناً وطوعياً وأن يختاروا الوجهة التي يريدون أن يقصدونها كما أنه من الضروري أن يتم السماح للنازحين، بموجب هذا الاتفاق، العودة الطوعية، في أمان وكرامة، إلى ديارهم حالما تسمح الحالة بذلك". وشدد على ضرورة أن تسمح جميع الأطراف للمنظمات الإنسانية بالوصول الآمن ودون عوائق للمدنيين، لتقديم المساعدة المنقذة للحياة للنازحين ومن يرغب في البقاء.<sup>(13)</sup>

وأكدت المصادر الرسمية لدى نظام الأسد أنّ الأمم المتحدة والهلال الأحمر السوري واللجنة الدولية للصليب الأحمر أشرفت على إخراج نحو 300 أسرة من كفريا والفوعة لإحلالهم مكان العائلات وبعض المسلحين الذين أخرجهم نظام الأسد وحلفائه من الزبداني<sup>(14)</sup>. وما يبدو إنّ إشراف هذه المؤسسات الإنسانية خلق عند الكثيرين استنفهاماً حول رغبة المجتمع الدولي في أن يلبس التهجير ثوب الإنسانية حسب مراقبين!

ووفق ما أعلن المرصد السوري لحقوق الإنسان، كانت قد أكدت متحدثة باسم الأمم المتحدة منذ التأسيس لهذا الاتفاق في منتصف 2015 حصول "تطورات ايجابية" في المحادثات ممتنعة عن التعليق حول ابرام اتفاق نهائي. وحينها قال مدير المرصد رامي عبد الرحمن أنّ الاتفاق تم التوصل إليه برعاية تركية إيرانية وبإشراف من الأمم المتحدة وكان الاتفاق بين حزب الله ومسلحين موالين لقوات النظام من جهة ومقاتلي الفصائل وحركة أحرار الشام من جهة أخرى، ويقضي هذا الاتفاق بوقف إطلاق النار لمدة ستة أشهر في مدينة الزبداني في ريف دمشق

<sup>13</sup> - بتصرف، <http://www.shaam.net>، تاريخ الولوج 2017/4/22.

<sup>14</sup> - بتصرف، <https://arabic.rt.com>، تاريخ الولوج 2017/4/22.

وبلدتي الفوعة وكفريا في محافظة ادلب شمال غرب البلاد. وذكر مصدر أمني سوري حينها أنه "تم الاتفاق حول كافة البنود المتعلقة بالهدنة في كفريا والفوعة في ريف إدلب الشمالي وفي الزبداني في ريف دمشق بين مختلف الجهات المفاوضة".

وكانت في منتصف 2015 قد أكدت جيسي شاهين المتحدث باسم موفد الأمم المتحدة إلى سوريا ستافان دي ميستورا، أن "حصول تطورات ايجابية في المحادثات التي يسهها الأمم المتحدة" لكنها قالت إنه "يعود للأطراف الإعلان عما إذا توصلوا إلى اتفاق". وبدأت في ذلك الوقت قوات النظام وحزب الله منذ الرابع من تموز/يوليو هجوما عنيفا على الزبداني، آخر مدينة في المنطقة الحدودية مع لبنان لا تزال بيد الفصائل المقاتلة، وتمكنت من دخولها و محاصرة مقاتلي المعارضة في وسطها. وردا على تضيق الخناق على الزبداني، صعد الثوار عمليات القصف على بلدتي الفوعة وكفريا المحاصرتين واللتين يعيش فيها مواطنون شيعة. وأكد مصدر سوري قريب من النظام ومطلع على المفاوضات أنّ "خروج المدنيين من الفوعة وكفريا سيتم عن طريق بلدة الفوعة و سيارات تابعة للصليب الأحمر الدولي".<sup>(15)</sup>

من جانبها أكدت وكالة أنباء "تابناك" الإيرانية، وجود مفاوضات سرية بين هيئة تحرير الشام وممثلين عن إيران في العاصمة القطرية الدوحة، بهدف البحث في مصير بلدتي كفريا والفوعة، مشيرة إلى أن حسام الشافعي القيادي في هيئة تحرير الشام شارك في المفاوضات. ولم تعلق السلطات الرسمية الإيرانية على هذه الأنباء لنفي أو تأكيد صحة هذه المعلومات.<sup>(16)</sup>

في حين سارعت دولة قطر حسب مصادر مطلعة بالتواصل مع المعارضة السورية لتبرير موقفها المتخذ وأن هدفها في صالح الشعب السوري وليس التهجير أو الإفراج عن مختطفها من قبل الميليشيات الطائفية في العراق، حسب تناقلته وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، ما وضع بدوره استفهام كبيراً حول موقف قطر من متغيرات الواقع السوري حسب محللين.

<sup>15</sup> - بتصرف، <https://www.annahar.net>، تاريخ الولوج 2017/4/22.

<sup>16</sup> - بتصرف، <http://www.souria.net>، تاريخ الولوج 2017/4/22.

**موقف المعارضة**

الملفت للنظر أنّ عملية التهجير تمت أثناء وجود المعارضة السورية في جنيف، والغريب أنّه لم يشر الوفد المفاوض للأمر في مؤتمراته الصحفية رغم أهمية وحساسية الموضوع، ما يعزى لاحتمالية وجود ضغوط إقليمية لعدم الإشارة والحديث حول هذا الاتفاق أو بشكل أدق حول الراعي لهذا الاتفاق.

وإنّ تأخر الهيئة العليا 4 أيام لإصدار البيان حول إدانة الاتفاق خلق حالة من البلبلة في أوساط الرأي العام السوري، إلّا أنّ الهيئة أدانت الأمر، ولكن الهيئة والائتلاف الوطني لم يتكلما أو ينتقدا الراعي لهذا الاتفاق بشكل مباشر، مكتفين بإدانة إيران والروس ومطالبة الأمم المتحدة فقط.

في 29 آذار/مارس 2017 رفض الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية رفضاً قاطعاً (لأي خطة تستهدف تهجير المدنيين في أي مكان من أنحاء سورية، مذكراً بأن ذلك مناقض للقانون الدولي الإنساني وقرارات مجلس الأمن، ويمثل جريمة ضد الإنسانية، وأن من واجب المجتمع الدولي التحرك لوقف هذا المخطط والمشروع الخطير.

مضيفاً بيان الائتلاف "لن يتمكن أحد من إضفاء أي قدر من الشرعية على مخططات التهجير والتغيير الديموغرافية من خلال أي مناورة، سواء جرت برعاية روسية أو بتخطيط إيراني، أو استغلالاً لصمت دولي مخزٍ، أو تحت أي ذريعة أخرى. أي مخطط للتهجير، بما في ذلك ما يسمى بـ"اتفاق كفريا - الفوعة"، هو مشاركة في التغيير الديمغرافي، وخدمة لمخططات النظام الإيراني، من خلال الهيمنة على مناطق مأهولة وتغيير هويتها الاجتماعية والسكانية، ويكشف الإصرار الإيراني على التفاوض مع تنظيم القاعدة حصرياً، عن خطة واهمة ترمي لربط الثورة بالإرهاب. يأتي مشروع التغيير الديمغرافي تمهيداً لمخططات ترتبط بمخططات موازية تسعى لتقويض الحل السياسي، ومن ثم العمل على ضمان بقاء النظام متسلطاً على مصير سورية وشعبها، وتسديد ثمن ذلك من التراب السوري، مع كل ما يستتبع هذا من صراعات طويلة المدى لحساب أجندات ومصالح دولية. ونطالب مجلس الأمن الدولي بإصدار قرار، تحت الفصل السابع، يقضي بوقف كل أشكال القتل والحصار والتهجير القسري، وإلزام جميع الأطراف بوقف إطلاق النار، وانسحاب الاحتلال والمليشيات الطائفية الإرهابية من سورية، ويلزم النظام بتنفيذ مقتضيات الحل السياسي<sup>(17)</sup>"

وبعد 3 أيام أصدرت الهيئة العليا للمفاوضات بيان الإدانة رغم أنّ محادثات جنيف وجلساتها كانت في أوجها وكان يمكن استثمار المنبر الإعلامي لجنيف والتركيز على الأمر بشكل مكثف وأكثر عمقا، فقد أصدرت الهيئة في الأول من نيسان/أبريل 2017 بياناً أدان فيه التهجير جاء فيه: "في إطار عمليات الترحيل والتهجير التي يقوم بها النظام، تتوارد الأنباء عن اتفاق يجري الإعداد له لتهجير أهالي مدينتي الزبداني ومضايا في ريف دمشق تهجيراً قسرياً مقابل إخلاء سكان مدينتي كفريا والفوعة وترحيلهم الى ريف دمشق ليحلوا محل أهل الزبداني ومضايا

<sup>17</sup> - بتصرف، <http://www.etilaf.org> تاريخ الولوج 2017/4/22.

المُهَجَّرِينَ إلى المجهول، مع ما يستتبع هذا الإجراء من اعتداء على حقوق سكان هذه المدن في البقاء في بيوتهم وعلى أرض آبائهم وأجدادهم، وفتح الباب أمام مشاريع مماثلة تستهدف سوريا وطناً وشعباً"

وأضاف البيان: "الهيئة العليا للمفاوضات تستنكر هذا الاتفاق وأمثاله، وتدعو جميع المعنيين برعايته وتنفيذه من سوريين وغيرهم إلى وقف هذه الجريمة بحق الشعب السوري عموماً لضحايا التهجير بسببه على وجه الخصوص، وتعتبر كل ما يُبنى عليه باطلاً ويتوجب إلغاؤه. فهو يأتي في إطار خطة لمصلحة إيران وحزب الله في مشاريعهم للتغيير السكاني في سوريا وإحلال مجموعات محل أخرى على أسس طائفية خدمة لمشاريعهم التقسيمية الفئوية في بلادنا وفي المنطقة.

إن هذا الإتفاق معادٍ للشعب السوري ومناقض للقانون الدولي الإنساني وقرارات الشرعية الدولية، ويتوجه مباشرة لضرب العملية السياسية الجارية وإثارة الفتن ومشاريع الصراعات والحروب المفتوحة في المنطقة.

نتوجه الى السوريين جميعاً حيثما كانت مواقعهم ببناء حول الوقوف في وجه هذا الاتفاق، وندعو الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والمجتمع الدولي لإدانة هذا المشروع الإجرامي الذي تقوده إيران بحق الشعب السوري، واتخاذ الخطوات المطلوبة لوقف وإلغاء مترتباته، ومساعدة أهالي الزيداني ومضايا وكفريا والفوعة في البقاء في بيوتهم والمحافظة على وجودهم وحقوقهم فوق أرضهم.

"سوريا لجميع السوريين من مختلف المكونات الدينية والطائفية والعرقية، والدفاع عن الوحدة الوطنية للشعب واجب الجميع من أجل محاربة الاستبداد والارهاب ومشاريع التقسيم والعدوان على السوريين فوق أرضهم وفي بيوتهم"<sup>(18)</sup>.

ونفى رياض حجاب العضو البارز في الهيئة العليا للتفاوض ما نشره مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبد الرحمن، حول مشاركة حجاب في الاتفاق داعياً حجاب المرصد أن يتوخى الدقة في النقل عن مصادره التي وصفها بأنها "موثوقة" حتى لا يفقد مصداقيته ويقع تحت طائلة التجني والافتراء.

في الثالث من نيسان/أبريل 2017 سرعان ما توجهت صحيفة الوطن القطرية للقاء رئيس وفد التفاوض نصر الحريري للحصول على تصريح رسمي يبيّن عدم تورط قطر في اتفاق التهجير والتغيير الديمغرافي الذي يتم في الزيداني، ليكون المانشيت العريض للصفحة الأولى في الوطن القطرية (قطر ضد تغيير ديموغرافية سوريا).<sup>(19)</sup>

في ذات السياق، نفى مدير العلاقات الإعلامية في هيئة تحرير الشّام عماد الدين مجاهد أن يكون هناك تفاهما مباشرا مع فصائل المقاومة، بخصوص المختطفين القطريين في الأراضي العراقية والتي راج أنّ اتفاق المدن الأربعة وعملية التهجير تمت نتيجة ضغط إيران على قطر من خلال اعتقال مواطنين قطريين من العائلة الحاكمة، مشيراً إلى أنّ تلك العملية تمت بتفاوض مباشرين القطريين وجهات عراقية. وكانت الداخلية العراقية قد تسلمت

<sup>18</sup> - بتصرف، <http://syrianhnc.org> تاريخ الولوج 2017/4/22.

<sup>19</sup> - بتصرف، <http://www.al-watan.com> تاريخ الولوج 2017/4/22.

في وقت سابق أمس المواطنين القطريين الذين اختطفوا في ديسمبر/كانون الأول 2015، وقالت وكالة الأنباء القطرية إن المواطنين القطريين المفرج عنهم عددهم 26، بالإضافة إلى مرافقين لهم. وأضافت أنهم دخلوا الأراضي العراقية بطريقة شرعية، واختطفوا أثناء قيامهم برحلة صيد.<sup>(20)</sup>

والجدير بالذكر في كانون الأول ديسمبر 2015 عرقل جيش الإسلام تنفيذ اتفاق المدن الأربعة سابقاً، وكان ذلك غداة مقتل قائده زهران علوش، حيث منع مقاتلوا الجيش الذين يسيطرون على منطقة بئر القصب من مرور القوافل التي تنقل المسلحين وذلك رداً على مقتل علوش ربما.<sup>(21)</sup>

فيما أكد عبد الله المحيسني القاضي العام في جيش الفتح في 2017/4/3 عبر حسابه الرسمي على تلغرام، أنه تواصل مع القائمين على ملف كفريا والفوعة، وأوضح أنه "سيخرج من مضايا والزبداني ما يقارب 2000 شخص فقط، من المطلوبين للنظام والتجنيد الإجباري، وليس جميع الأهالي".

في السياق نفسه، رفضت اللجنة السياسية في جنوب دمشق، الاتفاق بين جيش الفتح وإيران، مشددة أنه "لا يعنىها باعتبارها الجهة الممثلة عن جنوب دمشق وأي اتفاق يبرم من قبل أعضاء اللجنة السياسية يتم دراسته ثم إقراره من قبل اللجنة كاملة لما فيه مصلحة المنطقة". ومن جانبه قال عضو في اللجنة السياسية لجنوب دمشق، إنهم لن يقبلوا بأي اتفاق يكون لتنظيم القاعدة دور فيه، في إشارة إلى هيئة تحرير الشام أحد أبرز مكونات جيش الفتح، مضيفاً «إن أحداً لم يستشرنا قبل توقيع الاتفاق».<sup>(22)</sup>

<sup>20</sup> - بتصرف، <https://www.zamanalwsl.net/news/7> تاريخ الولوج 2017/4/22.

<sup>21</sup> - بتصرف، <https://arabic.rt.com> تاريخ الولوج 2017/4/22.

<sup>22</sup> - بتصرف، <http://www.souriatnapr> تاريخ الولوج 2017/4/22.

**رسالة الزيداني للمعارضة**

في 29 مارس\ آذار 2017 وحسب مصادر مطلعة وجه أهالي الزيداني عبر مسؤولين رسالة للمعارضة السورية يوضحون بواسطتها واقع الاتفاق وخطورته على المنطقة، وكان نص الرسالة بالتفصيل:

تم اجتماع ممثلين عن جيش الفتح ووفد إيراني في العاصمة القطرية الدوحة تسرب من بنود الاتفاق ما يلي:

1\_ إخلاء كامل الفوعة كفريا بمدة زمنية قدرها ٦٠ يوم على مرحلتين في مقابل إخلاء الزيداني وعوائل الزيداني في مضايا والمناطق المحيطة إلى الشمال.

٢- وقف إطلاق النار في المناطق المحيطة بالفوهة ومنطقة جنوب العاصمة يلدا ببيلا بيت سحم.

٣- هدنة لمدة ٩ أشهر في المناطق المذكورة أعلاه.

٤- ادخال المساعدات الانسانية الى المناطق المذكورة دون توقف إضافة لمساعدات لحي الوعري في حمص.

٥- إخلاء ١٥٠٠ أسير من سجون النظام من المعتقلين على خلفية أحداث الثورة ( في المرحلة الثانية من الاتفاق بدون تحديد الأسماء "صعوبة التفاوض على الملف مع النظام".

٦- تقديم لوائح مشتركة من الطرفين بأعداد وأسماء الأسرى للعمل على التبادل.

٧- إخلاء مخيم اليرموك "مقاتلين للنصرة في المنطقة". الاتفاق يَصَبُّ في مصلحة حزب الله اللبناني لأن الذي سيحصل في بلدة مضيا في ريف دمشق هو عملية تغيير ديمغرافي وعملية تبادل سكاني وتحويل منطقة الزيداني بمنطقة تابعة طائفيا لحزب الله اللبناني لضمان الجناح الأيمن للحزب وضمان خطوط إمداده العسكرية وفتح طريق جديد يربط جنوب لبنان وشماله ذات الغالبية المؤيدة لحزب الله . حزب الله اللبناني يخطط للاستيلاء على منطقة الزيداني بقراها السبعة الخطة تضيي بتحويل أسماء الذين سيخرجون من المنطقة إلى القضاء السوري وإدراجها تحت قانون الإرهاب وإصدار قرار بحقهم بمصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة والاستيلاء عليها من قبل الحكومة السورية، وإعطائها للسكان المهجرين من الفوعة والمليشيات الداعمة للنظام السوري ومن ثم التضييق على السكان المدنيين الذين سيقعون في المنطقة ودفعهم لبيع أراضيهم وممتلكاتهم خوفا من الملاحقات الأمنية وهذه الخطة يضمن حزب الله تواجد مؤيديه في منطقة الزيداني حتى ولو تغير النظام السوري بحجة امتلاك وثائق قانونية بملكية الأراضي . المخطط الذي سيطبق في بلدة مضيا سيتم من خلاله احتلال المنطقة وحرمان أهلها من العودة إليها وضمان امتداد الحزب وتحقيق مكاسب استراتيجية على حساب سكان المنطقة الذين عانوا ما عانوه من جوع وقصف وحصار قضى على 325 شخصا جلم أطفال ونساء وشيوخ بسبب سياسات الحزب الاستيطانية."

**المدن الـ 4 ورقة ضغط وميدان اشتباك**

طالما شكّلت المدن الأربعة أوراق ضغط يستخدمها كلّ من نظام الأسد والفصائل المسلحة من أجل إرجاع الطرف الآخر لمطالبه، والطرف الآخر فيما يبدو ليس هو نظام الأسد بشكل مباشر بل إيران التي تعتبر العنصر الداعم للفوعة وكفريا بسبب التقارب الأيديولوجي معها، كون كلتا المدينتين يعتنقان الشيعة. لذا فإنّ أي ضغط من قبل الثوار على أهالي الفوعة والقواعد الإيرانية المتمركزة في الفوعة وكفريا يقابله ضغط مقابل في الأحياء الأخرى من سوريا والعكس صحيح.

وأبرز الاشتباكات كانت في فبراير\شباط 2017 حيث بدأت الفصائل المسلحة محاولة السيطرة على مدينة الفوعة القريبة من مدينة إدلب، وذلك ردّاً على مجازر ارتكبتها قوات الأسد في ريف حلب الشمالي، قضى فيها عشرات المدنيين ذبحاً. فقد وصف نائب قائد هيئة الأركان السابق في الجيش السوري الحر هيثم عفيسي معركة السيطرة على بلدي الفوعة وكفريا حينها، بأنّها "معركة استنزاف"، لافتاً إلى أن "إرادة الثوار والمجاهدين ستنتقم لأهلنا الذين قضوا في ريف حلب الشمالي، كما ستكون هذه الضربة موجعة للنظام وإيران ومن يقف إلى جانبهم في العالم، ومن يتآمر دولياً على ثورتنا المباركة". ويضيف عفيسي إنّ "النظام والمجتمع الدولي وإيران لن يسمحوا بهذه السيطرة، مهما كلفهم ذلك"، معرباً عن اعتقاده بأنّ "هذه الأعمال تخدم النظام، بشدّة أزره من قبل إيران، نظراً لولاء البلديتين لإيران، أكثر من النظام". وفي موازاة إشارته إلى "نقص محتمل في قوات النظام، من حيث العتاد والسلاح والرجال"، لا يستبعد أن تكون المواجهات "رسالة لتضخّ إيران وروسيا سلاحاً جديداً وأكثر فعالية، لأنهم لن يسمحوا بمقتل الآلاف من الموالين لهم بهذه السهولة"، منوهاً إلى أن "هذه المعارك يجب أن تكون من البداية وليس الآن".<sup>(23)</sup>

وحاولت كتائب من الثوار في ريف إدلب بـ 26 فبراير\شباط 2015 تضيق الخناق أكثر على القوات التابعة للنظام ومليشيا حزب الله اللبناني والحرس الثوري الإيراني في بلدي الفوعة وكفريا، وبدأت المعركة في منطقة مزارع بروما التي تقع شمال مدينة إدلب وغرب قرية الفوعة وكفريا معقل ميليشيا حزب الله اللبناني وعناصر الحرس الثوري الإيراني. فحاولت القوات التابعة للنظام صد الثوار ومنعهم من التقدم في هذه المزارع لحماية قرية الفوعة وكفريا وتأمين خط الإمداد الوحيد لهما، بينما يبذل الثوار جهودهم للسيطرة على هذه المزارع وقطع اوتسترد باب الهوى المؤدي إلى مدينة إدلب والذي يعتبر المنفذ الوحيد لبلدي الفوعة وكفريا للوصول إلى مدينة إدلب.

وسيطر الثوار خلال هذه المعارك على عدد من النقاط الهامة منها مدرسة تعليم قيادة السيارات وهي على أطراف قرية كفريا كما قتل خمسة عشر شخصاً من القوات التابعة للنظام، وسيطر الثوار على معمل الزيت الواقع على طريق إدلب وبلدة معرة مصرين. وأحرز الثوار تقدماً ملحوظاً في المعركة حتى الآن حيث نجحوا في فرض سيطرتهم على مشارف طريق باب الهوى وهذا الأمر سيجبر القوات التابعة للنظام ومليشيا حزب الله اللبناني

<sup>23</sup> - بتصرف <https://www.alaraby.co.uk/politics/2015>

والحرس الثوري الإيراني لسلوك طرق برية غير معبدة للوصول إلى مدينة إدلب حيث يقترب الثوار أكثر من فرض حصار كامل على بلدي الفوعة وكفريا.<sup>(24)</sup>

وفي 2015/7/21 أفادت مصادر أخرى أنّ الكتائب الثورية استهدفت عدة مواقع لمليشيات ما يسمى بالدفاع الوطني في بلدي الفوعة وكفريا، ويأتي هذا الهجوم ضمن المعركة التي بدأها الثوار في 2015/7/19 بهدف السيطرة على البلديتين، ومن جهةٍ أخرى نصرةً لمدينة الزبداني في ريف دمشق التي تتعرض لحملة عسكرية عنيفة من قبل مليشيات النظام وحزب الله اللبناني. وكان الثوار قد تمكّنوا من السيطرة على طريق ادلب - باب الهوى، إثر اشتباكات عنيفة مع مليشيات النظام، فقام النظام رداً على ذلك بشن غارات جوية بالطيران الحربي استهدفت كل من بلدات معرة مصرين ورام حمدان، ما أسفرت عن سقوط جرحى من المدنيين، بالإضافة لقصف ببراميل متفجرة من الطيران المروحي على بلدة تفتناز وقرية طعوم. كما شنت المقاتلات الحربية غارات جوية على بلدات وقرى كنعصرة وكفرعويد وبلبون في جبل الزاوية، وتسببت في دمار كبير في إحدى المدارس الابتدائية في بلدة كنعصرة، واستهدفت الغارات الجوية مزارع جعفر الطيار في منطقة ربع الجور قرب خان شيخون واستهدفت قرية الركايا في الريف الجنوبي لإدلب بغارة جوية أيضاً. وفي الريف الشرقي لإدلب، استهدفت الغارات الجوية محيط مطار أبو الظهور العسكري، بعد يوم من إعلان الكتائب الثورية عن انشقاق خمسة جنود من عناصر المطار.<sup>(25)</sup> وكانت هذه العملية رداً على شن الطيران السوري مئة غارة على مدينة الزبداني مدشناً معركة أطلقتها قوات النظام و«حزب الله» للسيطرة على المدينة في شمال غربي دمشق وقرب حدود لبنان بهدف تأمين طريق دمشق - بيروت. وحينها قال المرصد السوري لحقوق الإنسان أن محيط مدينة الزبداني شهد اشتباكات عنيفة بين قوات النظام والمسلحين الموالين لها من طرف، والفصائل المقاتلة والإسلامية من طرف آخر، إثر هجوم عنيف بدأه حزب الله اللبناني وعناصر الفرقة الرابعة (في الحرس الجمهوري) على الزبداني، في محاولة للتقدم فيها والسيطرة عليها، ترافق مع قصف عنيف من قوات النظام على تمركزات للمقاتلين ومناطق في المدينة وأطرافها، وتنفيذ الطيران الحربي أكثر من 20 غارة على مناطق في المدينة ومحيطها.<sup>(26)</sup>

وعمل النظام منذ بداية الثورة على تجييش الحالة الطائفية بين سكان الفوعة وكفريا ومحيطهما، فانسحب مؤسّساتياً وأمنياً من بنش منتصف العام 2011، بوصفها أول مدينة تستقل عن النظام، وراح يروج عبر وسائل إعلامه أنباء عن وجود نحو ألف مسلح في بنش، وحرص عناصر من الأمن بداية، ومن "الشبيحة" لاحقاً، ممن ينتمون إلى المنطقتين، على خطف مواطنين من بنش أثناء توجههم إلى إدلب أو دمشق، وطلب فدية مقابل الإفراج عنهم، ليبدأ مسلسل الخطف المتبادل بين البلديتين ومحيطهما، بموازة انتشار موضحة المعتقلات الخاصة بين الطرفين. وبات لكل شخص تسعيرة، ما لم يحصل تبادل مختطفين، علماً أن تسعيرة المخطوف في عام 2012

<sup>24</sup> - بتصرف <http://www.akhbaralaan.net/news> تاريخ الولوج 2017/4/26.

<sup>25</sup> - بتصرف <http://www.orient-news.net> تاريخ الولوج 2017/4/26.

<sup>26</sup> - بتصرف <http://www.alhayat.com/Articles> تاريخ الولوج 2017/4/26.

تراوحت بين 50 إلى 200 ألف ليرة سورية، بحسب أهميته.<sup>(27)</sup>

ففي الثاني من كانون الثاني\يناير 2014 على سبيل المثال أكدت مصادر محلية في مدينة الأتارب الحلبية أن الطالبة التي اختطفت من المدينة في 12 كانون الأول\يناير 2013، تبين أنها خطفت واقتيدت إلى بلدة الفوعة الشيعية بريف إدلب. وأشارت المصادر إلى أن الخاطفين، طلبوا من أهل الطالبة مبلغ مليون ليرة مقابل الإفراج عنها، الأمر الذي حصل بعد ذهاب والدة الفتاة إلى "الفوعة"، وإحضار ابنتها، مقابل دفع المبلغ المذكور.<sup>(28)</sup>

وفي عام 2012، تمّ تشكيل لجنة مصالحة في بنش من أجل وضع حد للتجيش الطائفي، الذي بدأ يتفاقم حينها، ووضع أهالي بنش لائحة كبيرة بطول 16 متراً في منتصف الطريق بين بنش والفوعة، مذيلة بعبارة "أهل الفوعة أهلنا"، لكنّ تحريض النظام للمليشيات التابعة له في الفوعة وكفريا، واتخاذ التنظيمات السلفية من بنش التي لا وجود للنظام فيها مركزاً لانطلاقها، أفضل كل الجهود ودفع باتجاه تفاقم المشكلة التي تحولت إلى نزاع مسلح.

وكان ذلك بمثابة حجة لدى النظام، الذي حوّل المدينة إلى ثكنة عسكرية تقصف المناطق المحيطة، ما ساهم بنقمة كل المحيط الخاضع لسيطرة المعارضة على هاتين البلديتين، بخلاف القرى الدرزية في المحافظة، والتي لم تشارك في الثورة لكنها أبقت على علاقات طيبة مع محيطها المعارض بسبب رفضها للتسلح وعدم مساهمتها في قتل عناصر من المعارضة.

وكانت مجموعة من أهالي مدينة الفوعة المعارضين للنظام، يأتون إلى مدينة بنش في بداية الثورة ويشاركون في المظاهرات التي تطالب بإسقاط النظام، ولكنهم توقفوا بعد اشتداد الحالة الطائفية في المنطقة، كما انضم ضابط منشق من مدينة الفوعة برتبة رائد إلى صفوف الجيش الحر وقتل على يد قوات النظام في معركة السيطرة على مدينة حارم.

وأثناء اقتحام النظام لبنش عام 2012، شارك العديد من أهالي الفوعة في الاقتحام، كما تعاملوا مع الموضوع على أنه "انتصار" كبير للنظام، وشاركوا خلال اقتحام النظام لمدينة تفتناز، وراحوا ينكرون بأهاليها بطرق انتقامية، الأمر الذي زاد من النقمة عليهم في القرى المعارضة المحيطة.

وبعد سيطرة قوات المعارضة على معسكري وادي الضيف والحامدية في ريف إدلب الجنوبي، لم يتبق لقوات النظام سوى مدينتي أريحا وجسر الشغور، والفوعة وكفريا ومنطقة المسطومة ومعسكر القرميد، ومدينة إدلب.<sup>(29)</sup>

وبذات السياق جرت عمليات خطف للصحفيين المتواجدين بتلك المناطق الشمالية، كوسيلة ضغط سياسي على الدول المؤثرة في الملف السوري، حيث أكد الصحفي التركي بنيامين ايجون مصور صحيفة ملليت، الذي اختطفته

<sup>27</sup> - بتصرف <https://www.alaraby.co.uk> تاريخ الولوج 2017/4/26.

<sup>28</sup> - بتصرف <https://www.zamanalwsl.net/news> تاريخ الولوج 2017/4/26.

<sup>29</sup> - بتصرف <https://www.alaraby.co.uk/politics/2015>

المجموعات المسلحة في سورية في أواخر الشهر 11/ 2013 وتم الإفراج عنه في 8/1/2014. وجود أتراك بين الذين اختطف معهم. وقالت الصحيفة أن وزارة الخارجية وجهاز المخابرات القومية التركي بذلتا جهوداً من أجل الإفراج عن الصحفي ايجون حيث استلم فريق يتكون من 8 اشخاص يرتبط برئاسة العمليات الخارجية لجهاز المخابرات القومية التركي الصحفي ايجون من المجموعات المسلحة في سورية، ودخل ايجون من معبر جيلفا كوزو الحدودي إلى تركيا. وأكد ايجون في تصريح للصحفيين بعد وصوله إلى اسطنبول أنه لا يعرف اسم المجموعة التي اختطفته، وبين أن المسلحين لم يحتجزونه في مكان ثابت بل غيروا مكانه باستمرار، إلا أنه لفت إلى وجود أشخاص يتكلمون اللغة التركية بين المسلحين الذين اختطفوه لا يعرف شيء عنهم.<sup>(30)</sup>

<sup>30</sup> - بتصرف <http://emediatc.com> تاريخ الولوج 2017/4/26.